﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ [الأنعام: 53]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

مِنْ صُوَرِ الابتلاء تفاوتُ المكانةِ في الدّنيا

لَمّا نُهي ﷺ عن طَردِ فقراء المؤمنين؛ استجابةً لاستكبار المشركين، بيّن أنّ التّفاوُتَ في المكانةِ الدّنيويّة، والتّفاوتَ في الاستجابة لداعي الإيمان إنّما هو ابتلاءٌ وفتنةٌ لهم، ومِنَ المناسبة أنّه بعد أنْ ذكَر استكبارَهم بيّن مقولتَهم في شأن المُستضعفين[1]: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾، وهي مقولةٌ تعكسُ احتقارَ كبارِ القوم لهؤلاء المؤمنين واستضعافَهم، وتحريضَ محمّد ﷺ ليطردَهم، حتّى لا يكونوا معهم في مجلسٍ واحد، فنهى الله تعالى رسولَه عن هذا: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾، ثمّ أبانَ في الآية التّالية (53) عن سبب ذلك الاحتقار والاستصغار، وأنّه نوعٌ مِنَ الافتتان والابتلاء دفعَهم لأنْ يقولوا ما قالوه: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتَنَّا﴾: أصلُ الفَتن: الإحراق، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣﴾ [الذّاريات: 13][2]. فتنتُ الفضّة والذّهبَ إذا أذبتَهما بالنّار لتميّزَ الرّديءَ منَ الجيّد[3]، فالفتنةُ: الابتلاء، والامتحان، والاختبار[4]، و﴿فَتَنَّا﴾: ابتلَيْنا واختبرنا[5]؛ أي: عاملناهم معاملةَ المختبَرين[6].

2) ﴿مَنَّ﴾: (منّ) أصلٌ يدلّ على اصطناع خيرٍ. مَنّ: صنع صُنعًا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/129، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 7/136.
(2) الخليل، العين: (فتن).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (فتن).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (فتن).
(5) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/34.
(6) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 6/434، والقونويّ، حاشية على البيضاويّ: 8/116.

جميلًا[1]، ومَنَّ عليه: أَحسنَ وأَنعمَ إنعامًا بلا تَعبٍ ولا نَصَبٍ، وبلا انتظارِ ثناءٍ واستثابةٍ[2]، ويُطلقُ على النّعمة الثّقيلة[3]، ولا يكون ذلك إلّا للّه، فإذا قيل بين النّاس كان ذلك قبيحًا، ولِقُبح ذلك، قيل: "المِنَّةُ تهدمُ الصَّنيعةَ"؛ أي: أهؤلاء الّذين أُنعِمَ عليهم؟[4].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

مِنْ حكمةِ الله وضعُ فضلِه لمَن هو أهلٌ له

يُخبر اللّه تعالى أنّه عاملَ الخَلْقَ معاملةَ المُخْتَبِر، فجعلَهم متفاوتين في حظوظهمُ الدّنيويّةِ، فإذا مَنَّ اللّه بالإيمان على الفقراء سيقول الكافرون الأغنياءُ محتقِرين لهم: أهؤلاء الفقراءُ تفضّلَ اللّه عليهم بالهداية مِن بيننا؟! لو كان الإيمانُ خيرًا ما سبقونا إليه، فردّ تعالى على استكبارهم بقوله جلّ شأنُه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الّذين يعرفون النّعمةَ، ويُقرّون بها، فيضعُ فضلَه ومنّتَه عليهم، فإنّ اللّه تعالى حكيمٌ، لا يضعُ فضلَه عند مَن ليس له بأهلٍ[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

الغرضُ منَ الاستئنافِ:

بيّنَ الخطابُ علّةَ استكبارِ المشركين

قولُه جلّ شأنُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ، يبيّن وجهَ التّفاوُت بين النّاس في الغِنى، والفقر، والإيمانِ، والكفر، وعلّةَ استكبار المشركين[6]؛ لأنّ ترجيحَهم البقاءَ في الضّلالة تكبُّرًا عن غشيانِ مجلسٍ فيه ضعفاءُ النّاس يُثير تعجّبَ السّامع، فأُجيب بأنّ هذا الفعلَ مسبَّبٌ عنِ الفتنة الّتي سنّها اللّه تعالى في عباده[7].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (منّ).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (منن)، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (منّ)، والصّاحب، المحيط في اللّغة: (منّ).
(3) الرّاغب، المفردات: (منن).
(4) العُليميّ، فتح الرّحمن: 2/402.
(5) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 258، والمختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/134.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/139.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/252.

وكان الأصلُ ألّا تُعطف بالواو كما لا يُعطف بين السّؤال والجواب، ولكنّ لأنّ هذه الآيةَ اعتراضٌ بين النّهي عن طرد المؤمنين في الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: 52] وتكريمهم في الآية اللّاحقة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾، جيء فيها بالواو للتّنبيه على الاعتراض، ولا مانعَ من كوْنِ الجملة استئنافًا بوساطة الاعتراض.

دلالةُ اسمِ الإشارة: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

تعظيمُ المُشارِ إليـه، وعُـلـوُّ درجتِه

(ذلكَ) في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ إشارةٌ إلى الفتون المدلولِ عليه بقوله: ﴿فَتَنَّا﴾[1]، وهو هنا تقديمُه تعالى لفقراء المؤمنين في أمر الدّين بتوفيقهم للإيمان مع ما هُم عليه في أمر الدّنيا من سوء الحال[2].

وعبّر باسم الإشارة الدّالِّ على البُعد إيذانًا بعلوِّ درجة المشارِ إليه، وبُعدِ منزلته في الكمال تعظيمًا له، وتفخيمًا[3].

دلالةُ الكافِ في التّشبيهِ:

آثَرَ التّشبيهَ بالكاف دون غيرِها في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾؛ لأنّه أراد المُماثلةَ على وجه التّأكيد؛ لأنّ سنّة الابتلاء بحيث لا تُنكَرُ، "والكاف مُقحَمَةٌ لتأكيد ما أفادَهُ اسمُ الإشارة منَ الفخامةِ"[4].

آثَـرَ التّشبيهَ بالكاف تأكيدًا لفخامةِ المعنى المقصودِ باسمِ الإشارةِ

بلاغةُ التّشبيهِ في الآية:

في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ شبّه اللّه تعالى تفاوُتَ النّاس في الغِنى والفقر بتفاوتِهم في قَبول الإيمان، فكما

لا تُـكـالُ المآثرُ بالمكاييلِ، ولا يَـضـرُّ المـؤمـنَ الـفـقـيرَ الـزّادُ القليلُ

(1) السّمين، الدّرّ المصون: 4/646.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/139 - 140، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/296.
(3) الآلوسّي، روح المعاني: 4/153، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/253.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/140، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/525.

منّ على بعض النّاس بالغِنى، منّ على غيرهم بأنْ جعلَهم سابقين للإيمان متقدّمين على الأغنياء[1]، فكلُّ أحدٍ مبتلًى بضدّه[2]، فمعنى التّشبيه: "مثلُ ما فتنّا الكفّار بحسب غناهم، وفقرِ المؤمنين، حتّى أهانوهم لاختلافهم في الأسباب الدّنيويّة فتنّاهُم بحسبِ سبْق المؤمنين إلى الإيمان، وتخلُّفِهم عنه، حتّى حسدوهم"[3]؛ أي: "شُبِّهت الصّورةُ الكلّيّة لاختبار اللّه تعالى لخلقه - أو على الحقيقة معاملتُه معاملةَ المُختبِر لهم - شُبِّهت تلك الصّورةُ بهذه الحالة القائمةِ الّتي آمن فيها الضّعفاءُ، وسبقوا بها الأقوياءَ، وصار لهم فضلُ السّبق؛ والتّشبيهُ للتّقريب والتّوضيح"[4].

علّةُ إسنادِ فعْلِ الفتنةِ إلى الله تعالى:

تنزيهُ مقامِ الرُّبوبيةِ عن لوازمِ الاختبارِ، ومعاملةُ النّاسِ معاملةَ المُخْتَبِر

أخبر تعالى بقوله: ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أنّه يفتنُ النّاس ويختبرُهم، واللّه تعالى لا يخفى عنه شيءٌ من حالهم؛ لأنّه يعلمُ السّرَّ وأخفى، فهو تعالى لا يحتاجُ إلى الاختبار، ولكنّه عاملَهم معاملةَ المُختَبِر[5]؛ وذلك لتقفَ كلُّ نفسٍ على حقيقتِها، وتكتشفَ دواخلَها بنفسِها؛ فيعلمَ المستكبرُ حقيقةَ نفسه الّتي حرَمتهُ منَ الاهتداء.

دلالةُ اللّام على العاقبةِ والصّيرورةِ:

مآلُ الابتلاءِ هو الاستدلالُ على عدلِ اللهِ في مشيئتِه وتقديرِه

في قوله جلّ شأنُه: ﴿لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ أخبر تعالى أنّ مآلَ المستكبرين أنّهم سيقولون هذه المقولةَ، فهي لامُ العاقبةِ والصّيرورةِ[6]؛ أي: وما كانت هي الباعثَ على الاختبار، ولكن كانت عاقبةَ الاختبار ونتيجتَه[7]، كقول أبي العتاهية:

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/164، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/507.
(2) الجمل، الفتوحات الإلهيّة: 2/358.
(3) الشّهاب، عناية القاضي: 4/67، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/28، والخازن، لباب التّأويل: 2/116، وزاده، حاشية على البيضاويّ: 4/52.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2515.
(5) الواحديّ، البسيط: 8/172.
(6) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/164، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/140.
(7) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2515.

لِدوا للموت، وابنوا للخَرابِ[1].

والمعنى: فَعَلْنا هذا ليؤولَ أمرُهم إلى أن يقولوا في شأن الضّعفاء منَ المؤمنين: أهؤلاء العبيدُ والفقراءُ خصّهم اللّه بهذه النّعمة العظيمةِ من جُملتِنا؟[2]، فكان في قولهم هذا دلالةٌ على طبائعِهمُ المستكبِرةِ، وأنّ اللّه سبحانه قَدَّر حرمانَهم منَ الاهتداء بسبب هذه الطّبيعة الفاسدةِ.

الغرضُ منَ الاستفهامِ:

التّلويحُ بقصدِ الاستخفافِ والتّهكُّمِ بمن لو أقسمَ على اللّه لأبرَّه

قوله جلّ شأنُه: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ الاستفهامُ ليس للسّؤال على وجه الحقيقة، ولكن أظهروا استهزاءَهم واستخفافَهم بفقراء المسلمين[3]؛ إنكارًا لأن يكونَ أمثالُهم على الحقّ، وممنونًا عليهم من بينهم، احتقارًا لهم واستصغارًا، كقولهم: ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾[4].

نكتةُ التّعريف باسمِ الإشارةِ:

سَوْقُ دلالةِ الإشارةِ لترسيخِ الاحتقارِ البادِي منَ الاستفهامِ بالعبارةِ

وكذلك تعريفُ هؤلاء الفقراء باسم الإشارة (هؤلاء)، مُستنكفين أن يخاطبوهم بالضّمير، فلم يقولوا: (أهم، أأنتم)؛ لأنّهم لا يرونَهم أكْفاءَ بمخاطبتِهم بالضّمير، فاسمُ الإشارة مُستعمَلٌ في التّحقير، كما في قوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ [الأنبياء: 36]"[5]، فكأنّهم كما طالبوا بطردِهم حتّى لا يرَوهم في المجلس ذكروهم بالإشارة احتقارًا لهم.

---

(1) السّمين، الدّرّ المصون: 4/647، والجمل، الفتوحات الإلهيّة: 2/358، والقنّوجيّ، فتح البيان: 4/149. وعجز البيت: فكُلّكُمُ يَصيرُ إلى تَبابِ. يُنظر: ديوان أبي العتاهية، ص: 15.

(2) الواحديّ، البسيط: 8/172، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/296، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 7/136.

(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/296.

(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/164، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/507، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/34، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/129.

(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/254.

دلالةُ إردافِ الاستفهامِ بالفعلِ ﴿مَنَّ﴾:

استَبعادُهم مِنّة الله تعالى، وإنكارُهم وقوعَها بُغضًا، واستكبارًا

ومِثْلُ ذلك التّعبيرُ بالفعل ﴿مَنَّ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ ذِكْرُ المنّ بعد الاستفهام الإنكاريّ يدلُّ على أنّهم قالوا ذلك على وجه الاستبعاد[1]، وغرضُهم إنكارُ وقوعِ المنِّ أصلًا[2]، وفيه ما فيه منَ الدّلالة على تلك المشاعرِ البغيضةِ الّتي تآزرت عدّةُ وسائلَ تعبيريّةٍ للدّلالة عليها، وهي تدلُّ في مُجملِها على استكبار هؤلاء المشركين ونظراتِهم الطّبقيّةِ المُستعليةِ لفقراء المسلمين، وهي من مساوئ الجاهلية الّتي قضى عليها الإسلامُ.

تقديمُ المسنَدِ إليه على الفعلِ:

يفيدُ التّقديمُ التّقويةَ، وإفادتُه للتّخصيصِ أوقعُ

قوله جلّ شأنُه: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ جملةٌ اسميّةٌ بتقديم المسنَد إليه ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ على المسنَد ﴿مَنَّ﴾ وهو فعلٌ، ولم يقل: (أمنّ اللّه على هؤلاء) فقدّم اسمَ الإشارة، وأسند إليه الفعلَ على أنّه خبر؛ تنويهًا بتقويّة الخبر[3]. وقد يفيدُ التّقديمُ التّخصيصَ، والمعنى: أهؤلاء خصوصًا مَنَّ عليهم مِن بيننا؟ وهذا أوقعُ في الدّلالة على النّظرة المُستعليةِ، ويرشّحُه الظّرفُ ﴿مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾، فإنّه يعني نفيَ المنّة عنهم في مقابل إثباتِها لهؤلاء الفقراء، وشأنُ كلِّ تخصيص أن يتضمّنَ إثباتًا ونفيًا، وقد جاء هذا في سياق الاستفهام الإنكاريِّ التّعجّبيِّ بمعنى: أخصَّ اللّه هؤلاء بالهداية رغمَ فقرِهم وغِناكم؟!

دلالةُ التّعبير بالظّرفِ:

سيقَ الظّرفُ للدّلالةِ عن تعجُّبِهم من تفضيلِ الفقراءِ عليهم بمعرفة الحقِّ دونَهم

قوله جلّ شأنُه: ﴿مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ كان الكلامُ يصحُّ من غير التّقييد بالظّرف ﴿بَيۡنِنَآۗ﴾، ولكنّهم عبّروا به لبيان أنّ المنَّ على الفقراء لم يكن موضعَ إنكارٍ لذاتِه، ولكنّهم أنكروه بالنّظرِ إلى أنفسهم، واعتقادِ أفضليّتِهم، وهذا

(1) ابن جُزَيّ، التّسهيل: 1/262.

(2) الواحديّ، البسيط: 8/173، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/140، والجمل، الفتوحات الإلهيّة: 2/358، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 8/350.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/254.

يبيّنُ حسدَهم واستكبارَهم. و(بين) ظرفٌ يدلّ على التّوسط، فالمعنى ميَّزهم علينا[1]، مختارًا لهم من وسطِنا، فكيف يُظَنُّ في زعمهم أنّ الله يمنُّ على فقراءَ وعبيدٍ، ويتركُ سادةَ مكّةَ؟[2]، وهذا يدلّ على أنّ الظّرفَ ﴿مِّنۢ بَيۡنِنَآۚ﴾ يرشّحُ لدلالة تقديم المسنَد إليه على الاختصاص.

الغرضُ منَ الاستفهام في: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾:

ربُّ العزّةِ أعلمُ بمَن يستحقُّ الهدايةَ، ومَن يستحقُّ الضّلالةَ

الاستفهامُ في قوله جلّ شأنُه: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ من ربّ العزّة تقريرٌ لعباده بأنّه أعلمُ بمَن يستحقُّ الهدايةَ ومَن لا يستحقُّ، والتّعبيرُ بالشّاكرين إشارةٌ إلى أنّ الامتنانَ بالإيمان إنّما هو لمَنْ عرفَ حقَّ المُنعِم[3]، والمعنى: أنّ الله يعلمُ مَن يشكرُ فيهديه للإسلام، ومَن يجحَدُ نِعَمَهُ فيُبقيه في ضلالِه.

سرُّ إيثارِ الاستفهامِ المَجازيِّ على الإخبارِ:

يُقرّرُ سُبحانه علْمَه باستحقاقِ المنونِ عليهم، ويُنكرُ على المشركين إنكارَهم

قوله جلّ شأنُه: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ خرج الاستفهامُ إلى غرضٍ مجازيٍّ؛ فإنّ الله تعالى لا يَسألُ على الحقيقة، فهو استفهامٌ لتقرير علمِه البالغِ؛ أي: الله أعلمُ بمَن يشكرُ فيضعُ فيه هدايتَه دون مَن يكفرُ فلا يهديه[4]، وهو إنكارٌ لإنكارهم، والمعنى: أنّ مرجعَ الاستحقاق لنِعم الله سبحانه هو الشّكرُ، وله جميعُ الأمر، فلا اعتراضَ عليه[5].

ثمّ إنّ الاستفهامَ التّقريريَّ أبلغُ منَ الإخبار؛ لأنّ التّقريرَ فيه إلزامٌ، وهو أبلغُ في إثبات المعنى؛ إذ فيه اعترافٌ مِنَ السّامع بما يقدّمُ، وليس كذلك الإخبارُ، "فجاء إعلامُهم بذلك في لفظ التّقرير؛ إذ ذلك بيّنٌ لا تمكِنُهم فيه معاندةٌ"[6].

(1) السّمين، الدّرّ المصون: 4/648.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/254 - 256
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/140.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/526، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/140، والواحديّ، البسيط: 8/173.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/130، والقنّوجيّ، فتح البيان: 4/149.
(6) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/296.

نكتةُ وضْعِ الظّاهر موضعَ المُضمَر:

في ذكـر الاسـمِ الجليلِ تفخيمٌ مَـحـسُـوسٌ، وتربيةٌ للمهابةِ في النّفوسِ

قولُه جلّ شأنُه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ عبّر بالاسمِ الظّاهر، ولم يقل: (ألستُ بأعلم) باعتبارِ أنّه قال في صدر الآية: ﴿فَتَنَّا﴾ بضميرِ المتكلّم؛ وإنّما عدلَ عنِ الإضمار إلى الإظهار؛ التفاتًا منَ المتكلّم إلى الغَيبة[1]؛ وذلك لتربية المهابةِ بذكر اسمِ اللّه الجليلِ في مقام الرّدّ على استكبارِهم تعظيمًا لعلمِه بخفايا القلوب.

علّةُ إيثارِ الوصْفِ بالشّاكرين:

آثـرَ الـبَـيـانُ القرآنيُّ وصفَهم بالشّكر لتقدُّمِ ذكـرِ الامـتـنـان، والشّكرُ يُناسبُ الامتنانَ بالنّعمةِ

قولُه جلّ شأنُه: ﴿بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ آثرَ التّعبيرَ بصفة الشّاكرين دون غيرها؛ لأنّ المشركين قالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾؛ أي: أنعمَ عليهم، فناسبَ ذكرُ الامتنان لفظَ الشُّكر[2]، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ اللّه سبحانه يَمُنُّ بنِعمه وهُداه على مَن يعرفُ حقَّ المُنعِم، فيقبلُ عليه بالشّكر والعرفان، وعِلمُ اللّه سبحانه بالشّاكرين يستلزمُ توفيقَهم، والإنعامَ عليهم، والتّعبيرُ عنِ العلم بصيغة التّفضيل (أعلم) إشارةٌ إلى أنّه خيرُ مَن يجزي ويكافئُ بأفضلِ العطاء والخير والإنعام، وناسبَه التّعبيرُ باسم الفاعل (الشّاكرين) الدّالِّ على ثبوت الشّكر واستمرارِه في كلّ الأحوال، وهذا مِن تلاؤمِ الصّيَغ لتوافقَ دلالاتِها.

دلالةُ ذِكْرِ الشُّكرِ بعد إنكارِ المشركين:

دلّ ذكـرُ الشُّكر بـعـد إنـكـارِ المـشـركـين أنّ الـشّـكـرَ سببٌ لـلامـتـنـان بالإيمان

قولُه جلّ شأنُه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ فيه إشارةٌ إلى أنّ أولئك الضّعفاءَ عارفون بحقِّ نِعَم اللّه تعالى والتّوفيقِ للإيمان، شاكرون له تعالى على ذلك، وفيه تعريضٌ بالمستكبرين[3]، والمعنى: أنّ مرجعَ الاستحقاق لنِعم اللّه سبحانه هو الشّكرُ[4]، وأنّ اللّه ﷻ حَرَم المشركين من تلك النّعمةِ العظيمةِ بسبب جحودِهم وإعراضِهم.

(1) السّيوطي، قطف الأزهار: 2/882.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/526.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/140.
(4) الشّوكانّي، فتح القدير: 2/137، وملاّ حويش، بيان المعاني: 3/347.

❁ الفروقُ اللّغويّةُ:

(الفتنة) و(الابتلاء):

الابتلاءُ في الأَصل: التّكليفُ بالأمر الشّاقّ[1]، ولا يكونُ إلّا بتحميل المكاره[2]، والفتنةُ ما يتَبَيَّن بها حالُ الإنسان منَ الخَير والشَّرّ يُقال: فتنتُ الذَّهَب بالنّار، لتعلمَ أَنّه خالصٌ أَو مشوبٌ[3]، فهي أشدُّ الاختبار؛ لأنّها مشتقّةٌ منَ الحرق بالنّار، ومنه قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذّاريات: 13][4]، وإنّما آثرَ أن يعبّرَ عنِ الاختبار بالفتنة في هذا المَوضِع؛ لأنّ فتنةَ النّاس بعُلوّ المكانةِ في الدّنيا أو في الآخرة، فيها شدّةٌ على النّفس؛ لشدّةِ طلبِ النّاس ذلك، وحرصِهم عليه، ولأنّ التّعبيرَ بالفَتن أنسبُ في مقام التّمييز بين مَنْ شَكَرَ فمنَّ اللّه عليه، ومَن جَحَدَ فحرمَه.

الفتنة فيها تمييزٌ، والابتلاء فيه تمحيص

(المنّ) و(الإنعام):

المِنَّةُ: النّعمةُ الثّقيلةُ، منَّ فلان على فلان: إذا أثقله بالنّعمة، وعلى ذلك قولُه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 164][5]، وهي النِّعمَةُ المقطوعةُ من جوانبها كأَنَّها قِطعَةٌ، وأصلُ الكلمة القطعُ، ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصّلت: 8، الانشقاق: 25]، والنّعمةُ عامّةٌ[6].

المنّةُ نعمةٌ مختصّة لمُعيّن

فإيثارُ لفظ المنّة في قوله جلّ شأنُه: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾؛ لكون الإنعام بالإيمان أثقلَ نعمةٍ، وأنّها بلا سببٍ منهم، فهو منّةٌ عليهم بلا تَعبٍ ولا نَصَب[7].

---

(1) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 34.
(2) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 216.
(3) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 692.
(4) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 217.
(5) الرّاغب، المفردات: (منن).
(6) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 197.
(7) ابن منظور، لسان العرب: (منن)، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (منّ)، والصّاحب، المحيط في اللّغة: (منّ).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»